حالة طلق

قصة بقلم حميد رحيد

عبر البراري كان النهر يجري . وكانت هناك امرأة تتوجع .وقال الصياد : يالـه من يوم قاتم ، حافل بالصيد ، لا بد .

وفي غرفة نائسة الضوء ، دافئة ، راحت امرأة تتعرى .

وقال القس في كنيسة مجاورة : طقوس الحياة الآب والابن والروح القدس . الهبوط ، ثم الصعود ، فالسكتة .

بقدرة ذاتية متولدة منه، كان النهر يجري بين القصب والشيح . وبين القصب والشيح راح البط يرعى . وكان هناك طمي ساكن .

فرح كولادة طفل ، هب على روح الصياد وهو يتصور أسراب البط تعبر النهر .

ـ باسم الآب والابن والروح القدس أعمدك .

ورشت عليها الماء المقدس ، بينما كان الطلق قد بدأ .

في الغرفة الوردية النائسة ، بدت المرأة تمثالا من المرمر المرصع بالعقيق . وعلى الفراش تململ وجع شهوي اخترق ذرات جسد الرجل، المنتظر هبوط المرأة .

ـ انما نبلوكم لنرى عند الله اتقاكم !

هو ذا اسماعيل يمتطي الدروب ، باتجاه براري الصيد في غبش الفجر ، ومعه كلبه . واسماعيل صياد قديم ، من سلالة تحترف القتل مذ نبتت على سطح الارض . واسماعيل رجل يؤمن بالله في ساعات الضيق ، لكنه يؤمن بالصيد اكثر .

قبل ان يخرج من بيته ،حلم بصيد وافر . ببط يسد منافذ الافق . بط ابيض واخضر واسود ، يقبل فاردا اجنحته ، مقتربا ببطء حتى يصير على مرمى .

الطلقة الاولى في المقدمة ، تتلوها اخرى ، ثم أخرى في الوسط والمؤخرة . جنون من الطلقات ويتكوم البط اتقتيل والجريح قربه فوق الطمي .

طقوس .

وبفنج مهتوك تنفتل المرأة العارية أمام المرآة .

هي أيضا في لحظة مواقعة ذاتية ، في لحظة متولدة نارا كطاقة النهر ، والرجل الذي يتوقع هبوطها يضغط بحنق الفراش والوسادة.

ـ المرأة اله واقعي في جسد واحد . قال الذي يشتعل شوقا وحقدا .

ـ ماذا سنسميه ؟

تساءلت النسوة في الغرفة المجاورة .

كانت الام التي تتمخض تعض اصابعها والوسادة . تنشج جنسا مرفوضا والالم يرشق ضلوعها بطعنات كالمدى .

ومن كنيسة مجاورة ، راحت التراتيل تدوي كأزيز نحل في جرار مقفلة .

ـ اسماعيل !

الى ضفة النهر سبق الكلب . اشتم رائحة البط فعدا . صرخ اسماعيل بالكلب فالتفت نحوه ، ثم وثب الى الدغل .

من كتفه نزع بندقيته وراح يجري في السفح فوق العشب الفض. كان يدوس العشب المندى ، وفي أنفه رائحة البط ، والطاقة الذاتية المتولدة من حمى الصيد .

هو الاخر يواقع رغباته بطقوس رجل متوحد .

الصيد عذب .

الطفل عذب .

والمرأة التي تعرت الان اكثر عذوبة .

جميع الاشياء الغافية تحت جناح التوقع عذبة ، ما دام الفجر لما يطلع بعد .

طقوس عذبة .

قبل أن يصل اسماعيل الدغل ، نفر البط ، سمع صوته وخفق أجنحته ، فخفق قلبه بعذوبة . واذ سمع عواء الكلب وصوت خشيش الدغل بعيدا عنه ، شتم الكلب المهتاج ، ودهمه امتعاض وحقد .

ـ البط يرحل !

ـ ثمة بط اخر لا حصر له . قالت رغائب اسماعيل التي تتوالد كتيار النهر .

الان دخل بين اجنحة الدغل .

واقتربت المرأة العارية من الفراش .

وازداد طلق التي تتمخض جنسا مرفوضا . جنسا كريها كعلق المستنقعات .

الرغبة فصمت شفتها السفلى عن العليا ، فبدت مهدلة تحتبس بشهوة لها رائحة ، وراحت كل ذرة من الجسد المخملي تنبض .

ترتعش بالتوقع .

ثلاثة ايقاعات طقسية ، يتخللها برق .

الرجل المستلقي على الفراش ، عار هو الاخر. ممدد كأرض تشتهي مطرا والدنيا صيف .

عيناه مذ بدأ التعري تجوبان خريطة التمثال . ترتفعان . تنحدران . تجتاحان . وفجأة تتسمران في وادي الفعل والطاقة .

وكما رأى اسماعيل اسراب البط تسد الافق . بط ابيض واخضر واسود . بط يأتي من بحار مجهولة فرحة ، حاملا ريحا من فرح، رأى الرجل المستلقي وهو يسبل جفنيه ، وطنا من فرح يقبل محمولا على غمام من شهوة ، حريريا دافئا .

واذ دخل سفوح المرج الحريري العبق ، سحرته الروائح . روائح ليس يدري من اين انتشرت . كيف نفذت من الجلد المخملي من تحت الابط ، من ساحة ما بين الثديين ، ومسيل الفخذين .

هو ينساب سابحا . يتمرغ مفعما بالروائح وشهوة القتل . يقيم طقوسا في هذا الفسق السحري . متوحدا يود أن يطلق هو الاخر .

الحلم الافريقي كيف حضر الان . قطع كل تلك المسافات من أسمرة الى دمشق ولم تعقه ذرات الفراغ .

جاهدا يحاول اسماعيل ان يتذكر . حتى التفاصيل الصغيرة للحوادث والجسد الابنوسي ، ينبغي الا تفلت .

بيت منفرد بين الادغال . بعيد عن المدينة . المرأة تقود السيارة وهو بجانبها . غريب ومتوقع ، والراديو يرسل موسيقى جنسية عذبة والبراري موحشة تفيض توقعا . البط يهجع تحت ذوائب العشب في الظلال المستورة . والرجل مأخوذ .

في الخلف اسمرة . مدينة افريقية الجنس يشم فيها كالريح، يؤكل كالارغفة لكن هذه المرأة شيء خاص مختلف . ليست خلاسية

ولا بيضاء . تشم روائح الغرباء ، تميزهم ، ثم تنفرد بهم في منزلها الوحشي ،المعزول .

موسيقى . وسكي . ابتسامة ساحرة ، وعينان مومضتان ببريق يرتعش . حافية تخطر فوق ارض البيت المرصوفة بالخشب والدنيا غسق . هي غسق ، ورائحة الصندل تعبق في الحجرة ، تكاد ترشح من الجدران والارض والسرير . ثم التوقع .

طقوس .

ـ سجل لي اغنية خذها معك الى دمشق !

وادار المسجلة وسقته من كأسها . من الحافة التي تحتسي منها. احس طعم الريق فارتفع الخفقان الداخلي ، وقسمت موزة ناولنه النصف ، وتناولت النصف الاخر . بهدوء مضغ وهو يتملى البريق المشع من غسق عينيها . كانت شفتاها تلمعان كموجة في فجر مشمس ، ولم تكن تضع طلاء . واذ لفت ساقا فوق اخرى ، انحسر الثوب ، وبان من أسفل الفخذين جزء صغير من جسد صلب ، حار ، ناعم ومتوحش .

وراحت تغني اغنية افريقية راشحة بالجنس .

آه . انقطعت في منتصفها ، وكزت التي ستضع ساحقة اسنان فكيها ، ثم نثرت رأسها فارتطم بجدار السرير الخلفي ، وراح العرق يتفصد من كل جسدها ، وارتفع الطلق .

صاحت القابلة : اعطوني وعاء .

جو الغرفة يفيض قتامة ، والهواء منهك ، والمرأة المفتوحة الساقين ، تئن انينا حجريا يخرق الجدران والابواب الموصدة . وعلى المنضدة مشارط ، واقمطة ، واوعية نحاسية ، ادوية واكفان بيضاء .

ـ اسماعيل ام عيسى ؟

ـ من الذي قال لابيه : يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ؟

ـ يوسف بن يعقوب .

وازدادت التراتيل الكنسية في صباح ذلك الاحد .

توغل اسماعيل بين القصب والشيح . كانت الارض طرية دبقة تحت قدميه ، احسها تختلج كالبيض النيء غب انحسار النهر .

وبصعوبة راح يسحب قدميه فوق الطمي . وجاءه نباح الكلب من بعيد فناداه . ارعشه صفير افعى داسها فانسربت بين الشيح .وعلى نحو لامع مرقت في ذهنه كلمة ابيه : الحية امرأة غضب الله عليها فمسخها افعى . ومن اجمة وثب ثعلب ، احدث صوتا أجش موحشا . شيء ما في الداخل بدأ يختل ، وراح البط ينفر مذعورا من اماكن قريبة منه ، ومن بعيد حيث يجري الكلب ، ولا يراه .

ـ الفجر اللعين متى يطلع ؟

وفجاه رعب البراري . هذه الوحشة نليل جهم ممتد بلا حدود .ثم هذا الركام من الغيم الكالح . والرعد .

خلفه كان القصب والشيح ، ممتدا كهذا الليل ، وامامه كان القصب والشيح ، منتصبا كالاذرع الادمية . كثيفا راح يلطم وجهه ، وصدره . يعرقل سيره والارض تهتز . ولما يطلق طلقة بعد .

ـ متى نسافر ؟

ـ صباحا .

ـ لن تعود الى اسمرة ؟

ـ قد يمضي زمن طويل قبل ذلك .

واشعلت له لفافة . مصت منها ثم ناولته ، وابتسمت بخبث.

ـ اسمعني اغنيتي .

وادار المسجلة .

وسقته من كأسها ، وشربت . وبدت الغرفة عائمة بالدخان ورائحة الصندل والجنس .

دوار . رجل وامرأة غريبان في عالم غريب ، في غرفة معزولة ، واغنية جنسية ، وبين العينين جسر من وجع وحزن .

ـ هل عرفت امرأة قبلي ؟

وسألها ان كانت قد قرأت فرويد فأجابت بالنفي . وسالها عن طفولتها فصمتت ،وصمت .

ـ لماذا تكثر من الاسئلة .

واستطردت : انت رجل سياسي .

ورنا اليها بتركيز ورسوخ . ولم يجب .

ـ ولك مهمة في اسمرة .

ـ نخبك .

ورفع كأسه . احتسى على مهل بينما افرغت كأسها . وقبلها .

ـ مهمتي ان انام معك .

وضحك بغزارة .

ـ قبل الفجر سيأتي رجل ويأخذك معه .

بطيف ابتسامة مسح كآبتها : لا تبتئسي . انا سائح ولا صلة لي بمثل تلك الامور .

ـ الغرباء هنا مشبوهون . وانا مكلفة بتسليمك .

ومد لها ذراعه : دعينا نرقص . وقاما .

موسيقى غابية مشحونة بالمطر والحزن ، شالت . والتحما فوق ارض الغرفة . بحنان شهوي ضمها . أفعمته رائحتها . رائحة انثى حارة تلتحم بجسده داخل ليل موحش ، في بيت وراء تخوم المدينة .

طقوس .

حلم . يقظة . وبين الحلم واليقظة خيط شفاف يحس ولا يرى . له رائحة كالموت احيانا ، كولادة شيء من تحت جلد الانسان او جلد الارض .

الافق يلمع ثم الرعد . طبول افريقية متوحشة داخل غابة مظلمة، موحشة هي الاخرى .

دوار . الغرفة تدور والموسيقى والروائح . شفة ابنوسية حارة التصقت بشفتيه . ضغطت . ضغطت ايضا .

دار الآداب تقدم

ملاح من الوجه الأنباذ وقلبيسي

للشاعر

محمد عفيفي مطر

صدر حديثا الثمن ٢٠٠ ق.ل

ـ اخي ضابط في الجيش الاثيوبي .
وانهمرا على السرير .
غنت الغبطة : انا ريح شرقية قادمة من وطن الحب والموت اخترق النفس والجسد . انشر الروائح ثم لا اكون .
ومن سماء تجيش بالغضب ، انهمر المطر . مطر محمل بغبار له رائحة الغرين . وعلى اسماعيل . هبت ريح مشبعة بفزع .

احس من لطم القصب والشيح ، والريح والمطر ، بانه على وشك العمى ، وانه في تيه وسط عالم موحش . وبدأ جسده يرتعش .
موسيقى الحجرة حزينة جنسية . والمرأة المتألقة جنسا مقبولا ، راحت تتأوه ، مختلجة بايقاعات جسد يخترقه برق . كان الفضاء مضخما بالروائح .
طقوس اخرى ، واهتز اكثر نواس الزمن .
ارتفع الطلق وصاحت التي تتمخض جنسا مرفوضا صيحتها الاخيرة، ثم دخلت الغيبوبة .
واستعدت القابلة .
وارتفع النشيج الكنسي وسط رهبة الفجر .
وثبة .تلتها اخرى . هاربا من عنكبوت الشيح والقصب . هاربا من المطر والريح وصوت الرعد .
واحتضنه الطمي .
ـ اسماعيل اني ارى في المنام اني اذبحك !
ورفع قدما ففاصت الاخرى اكثر . بعنف رفع الاخرى لكن الثانية غارت . غارت . حاول الاتكاء على البندقية فغابت في رحم الطين بيسر.

ـ الطمي الخادع . الطمي القذر .
وبدأ طلق آخر . شد بقامته . بكل طاقة الانسان ورفضه للموت، ونهد الى الاعلى . سحب قدما رماها الى الامام ، وحاول سحب الاخرى . طمي آخر ابتلع الاولى . ثم ابتلع الثانية .

صيد . بط مد الافق يخفق فوق رأسه . صوته يدوي . وشال بعزم . بضراوة وحش محاصر رافعا رأسه نادها : يا الهي .
وسمع صرير قدميه وهما تغوران : اسماعيل . اين قوتك ؟
ورفع صدره ناهدا نحو الاعلى فمال ، اختل ، ثم كبا فوق الطين . وعلقت يداه . غاصتا . خانتاه : ياالهي .
ـ من التراب والى التراب تعود .
وعلى مهل راح الطين يمتصه . وصل الركبتين . اختلج شد الى الخلف . وراحت يداه تنسحبان ببطء من دبق الطمي . سقط على قفاه منكسرا . وهو مشبوح على ظهره نادى ايضا : ياالهي أين انت ؟
وقام .
كان الان واقفا كالصقر وسط الطمي الذي غطى اعضاءه التناسلية. وشعر بصقيع الغرين يخترق روحه ثم يسكن في الوتين. وبهدوء وسلام راح يغور وسط ظلام العالم . راح يغور .

شارف الطمي عينيه المتجمدتين ، ولم يكن سعيدا ولا فرحا . كان منهكا مستسلما . ورأى السماء تصحو ورأى القمر والنجوم . احد عشر كوكبا . اثنا عشر . كواكب مباركة ، تسبح في فضاء نيلي فسيح . وكان هناك ، بعيدا بعيدا ربه الذي ناداه . من بعيد جاءه زقو البط، فرحا مذعورا ، كزقو الطفل الذي هبط الان من رحم المرأة ، كالايلاج الذي تم الان بين جسد المرأة الفرح ، وجسد الرجل الذي سيسلم في الفجر .

وغمر الطمي العينين ، فأغفى .
سبحان الحي الباقي . الذي يولج الليل في النهار والنهار في الليل . الذي يخرج الحي من الميت والميت من الحي . الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون .

دمشق

حيدر حيدر

دار الآداب تقدم

قصة المقاومة الفيتنامية

كما يرويها ابطالها

يعتبر نضال الشعب الفيتنامي لتحرير ارضه من اطول ما عرف التاريخ الحديث من مقاومة وصمود.
وهذا الكتاب الهام الذي نقدمه للقراء العرب ، في هذه الفترة التي تحتشد فيها الطاقات العربية كلها لمقاومة العدوان الصهيوني وتحرير الارض العربية في فلسطين ، يحمل مثالا وعبرة وفائدة عظيمة ، لا سيما وان مؤلفيه هم انفسهم من ابطال المقاومة الفيتنامية على راسهم الجنرال فو نيغوين جياب قائد المقاومة الفيتنامية سابقا ووزير الدفاع في فيتنام حاليا . والمؤلفون يروون باسلوب شيق طريف ذكريات اعمالهم السياسية والحربية في سايغون وهانوي واعوام الاسر والسجن والتعذيب ، والاحتلال الياباني وقيام حروب العصابات في حقول الارز والغابات الكثيفة ، حتى تعبئة الشعب كله في ربيع عام ١٩٤٥ وانشاء جمهورية فيتنام الديمقراطية في هانوي .
وخلال هذه القصة يبرز وجه مدهش عجيب : هو وجه ذلك المناضل الشاب ، والمثقف الانساني ، والثائر الذي لا يلين : « العم هو » الذي سيصبح فيما بعد الرئيس هو شي منه ...
والفصل الاخير في الكتاب يتحدث عن المقاومة البطولية الرائعة التي ما يزال شعب الفيتنام يخوضها بقيادة جبهة التحرير الوطنية حتى ايامنا هذه ضد الاحتلال الاميركي وعملائه في فيتنام الجنوبية .

الثمن ٣٠٠ ق. ل

صدر حديثا